الجزء الرابع والعشرون — المجلد الرابع

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(صدر في يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة ١٣١٩ — ١١ مارث (٢٧ شباط) سنة ١٩٠٢)

﴿ إصلاح الدولة العلية — رأي يستحق النظر ﴾

ضمنا في هذه الايام سامرٌ من رجال أهل الفضل ومحبي الاصلاح فطفق القوم يتحدثون في شؤون المسلمين في مراكش والجزائر وتونس ومصر والدولة العلية وايران والهند والافغان وبلاد العرب فكان من رأيهم ان المسلمين في كل قطر من اقطار الارض متشابهون في أخلاقهم وأطوارهم وقابليتهم للإصلاح . وان كل ما أصابهم من البلاء والشقاء فهو من أمرائهم وحكامهم لأنهم يخضعون لرؤسائهم خضوعاً أعمى . وأنه متى صلحت حال حكومة اسلامية تصلح بذلك أحوال الأمة التي تحكمها لا محالة . وأن للبلاد العثمانية عامة ولبلاد مصر خاصة مزية لا تشاركها فيها بلاد إسلامية أخرى وهي ان الإصلاح الحقيقي اذا وجد في أحدهما أو كليهما فان أثره يتعدى الى جميع الأمة الاسلامية وبه يكون مجد الاسلام الحقيقي وذلك لاتصالها بالحرمين الشريفين وكونهما قلب البلاد الاسلامية وتفضل الحكومة العثمانية الحكومة المصرية بأن أكثر المسلمين في العالم يعتقدون أن رئيسها هو خليفة المسلمين وإمامهم الديني وبأنها سيدة مصر وحاكمة

الحرمين الشريفين وبأنها مستقلة استقلالاً يمكنها أن تفعل ما تشاء من من الإصلاح بدون سيطرة الاجانب ، ونتيجة هذا كله ان الإصلاح الاسلامي اذا التمس من حكومة فانه محصور في الدولة العلية لأن حكومة مراكش في أقصى الاطراف وحكومة الافغان كذلك في طرف بعيد لا تأثير له الا في موضعه وحكومة إيران لا تلتئم مع سائر المسلمين لاختلاف المذهب وبقية البلاد الاسلامية تحت سيطرة الاجانب

ثم أنشأوا يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، وهو الاصلاح وإمكانه وكيف يكون ، قالوا إنه ممكن واختلفوا في كونه مرجواً وأمولاً أم لا فقال بعضهم ان الشعب التركي لا يحسن الاستعمار ولذلك بقيت الشعوب التي استولى عليها حافظة لغاتها وتقاليدها وعاداتها متى كانت كلما آنست من الدولة العلية ضعفاً او عجزاً عن ضبطها وحاولت نبذ سلطتها وما زالت تناوشها وتثور عليها الى ان تمكن اكثرها من الاستقلال بعد ضعفها ولولا أن العنصر العربي أكثره يدين بالاسلام فيرتبط معها برابطة الدين لاستقل دونها كما استقل غيره وكبر جهلا منها أن بقيت متعصبة لجنسيتها التركية فان المسلمين لا رابطة لهم ولا جامعة ولا وحدة الاّ في دينهم فلو انها ساوت بين التركي والعربي كما ساوى بينهما الدين وعملت لاحياء بلادهم وعمارتها وجعلت لسانها الرسمي لسان القرآن لاستولت بهم على جميع المسلمين وكان لها منهم قوة لا تغالب

كيف يرجى الإصلاح الاسلامي من الترك وأهل الحل والعقد منهم لا يرون لانفسهم صلاحاً الاّ بتقليد الافرنج في كل شيء والنشء الجديد المتعلم أوربي النزعة في كل شيء حتى في جعل الدين آلة من آلات السياسة

فاذا أتيح لهم أن يحفظوا استقلالهم وتكون لهم حكومة منتظمة وأمة مرتقية فانما يكون ذلك بحصر سلطتهم في البلاد التركية المحضة بأن يجعلوها كأمة من أمم أوربا في جميع شؤنها وأطوارها . واذا هم سلكوا هذا المسلك وارتقوا هذا الارتقاء الجنسي على الطريقة الاوربية فلا يمكن أن يكون لهم نفوذ وسلطان في سائر العالم الاسلامي . وهذا سبب من أسباب التنازع المستمر بين مولانا السلطان عبد الحميد وبين النشء التركي الجديد والحق فيه معه وان كان لهم وجه من طرف آخر وهو طلب تقييد السلطة بالشورى والشرع والقانون . وان لي صديقاً من غير هذه البلاد كان ولا يزال يقول ان الترك لا ينقرضون ولا بد أن تكون لهم دولة منتظمة في بلاد الاناضول

وقال آخرون ان دولة الترك بقوتها العسكرية وموقعها الجغرافي وسلطتها الدينية لها تأثير كبير في انماء قوى المسلمين سواء أحسنت الاستعمار وحكمت الديار أم لا فسقوطها (والعياذ بالله تعالى) يوقع المسلمين في يأس وقنوط ولا يمكن أن يجتمع شملهم بعد ذلك الا بدعوة اسلامية مؤيدة من الله تعالى كدعوة المهدي الذي ينتظرونه وأنى لهم بذلك

ثم بعد اتفاق الآراء على ان اصلاح الدولة خير للمسلمين على كل حال خاض القوم في كيفية الاصلاح فذكر بعضهم رأيا ربما ينكره الكثيرون بادي الرأي ويحسبون انه من الخواطر الخيالية التي تسنح للاذهان في بعض الأحيان فيبادر اللسان الى ذكرها إعجاباً بغرابتها . والصواب انه رأي تمخضت به الحلوم لا الأحلام ، وولدته الافكار الصحيحة لا الخيالات والاوهام ، واني أعرف من دون أصحاب سامرنا الذين وافقوا قائله عليه رجلين من أعلم الناس بالعلم الاجتماعي جزما بصحته

جزماء وقالا بوجوبه حتماء

ذلك الرأي هو تغيير عاصمة السلطنة واستحسن صاحب الرأي ان تكون العاصمة مدينة بورصه وقال ان تغيير البيئة (الوسط) يسهل على الدولة سبيل الخروج من كثير العادات الضارة والتقاليد التي أرهقتها من أمرها عسراً . وقد اعترض بعض السمّار على هذا الرأي فأجابه غير واحد بما أقنعه

أما القسطنطينية العظمى فيجب حينئذ أن تكون معسكر الدولة الاكبر، وينبوع قوتها الأغزر، حفظاً لموقعها الحربي وأمنا عليها من اختلاف العناصر وكثرة الاجانب . وأما ما في قصور السلاطين من الذخائر وآنية الذهب والفضة ونحو ذلك فيجب أن يباع منه كل ما لا يعد من الآثار التاريخية التي في حفظها فائدة وتستعين الدولة بذلك على الاصلاح الاداري والحربي فان الشرف الحقيقي خير لنا من الشرف الوهمي

استحسن اخواننا السامرون أن نعرض هذا الرأي في المنار على الباحثين في الاصلاح فعرضناه لتصقله الافكار وتستنبط فوائده القرائح حتى اذا ما عنّت الفرصة المناسبة لانفاذه توجهت اليه النفوس وطالبت به الناس عن بينة وبصيرة . ولسنا نعني ان هذا الانتقال هو عين الاصلاح وإنما نريد انه مقدمة من مقدماته ربما ترتقي الى أن تكون شرطاً يلزم من عدمه عدم الاصلاح ولا يلزم من وجوده وجوده وإنما يسهل سهولة كبرى تكاد تكون سبباً . وانا نعرض على الأفكار ثلاث فوائد إجمالية ونكل التفصيل فيها الى أفكار الباحثين

(الفائدة الاولى) البعد عن تأثير الاجانب وسيطرة السفراء وافتياتهم وهذه الفائدة لا يعرفها حق المعرفة الا الواقف على أحوال الاستانة

وأحوال بلاد الاناضول بحيث يفرق بين طبيعة البيئتين فن كان يهمه هذا الأمر فليبحث عنه حتى يصيب المطلوب منه . ولعل بعض الباحثين يقول بعد التأمل أن يجب أن تكون العاصمة أبعد عن البحر من بورصه وأشد إيغالاً في البلاد الاسلامية

(الفائدة الثانية) الاقتصاد في المال فان حال أهل الاستانة وتقاليد البيت السلطاني وتقاليد الحكومة تقتضي نفقات عظيمة تذهب بالجزء العظيم من بيت المال ولا سبيل الى تخفيف ذلك الا بالانتقال الى عاصمة أخرى .

(الفائدة الثالثة) ترك التقاليد والعادات والرسوم الضارة والاقتصاد في الاعمال فان كثيراً من هذه التقاليد حكمت به طبيعة البيئة ومجاراة الغربيين الذين يزاحمون الاتراك أشد المزاحمة في هذه المدينة الاوربية ولا يمكن التفصي منها الا بتحول يجعلهم بحفوظ عليهم التنوق في الترف والتغالي في تقاليد المدنية الاوربية . وحسبنا الآن هذا التنبيه والله الموفق

الاسلام والمسلمون

(المقالة الثانية للقس اسحاق طيلر)

كتبها بعد ماجاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ في مدح دينهم ونشرتها جريدة سنت جمس غازت الانكليزية تحت العنوان المذكور بتاريخ ١٨ افريل سنة ١٨٨٨

انى ذهبت الى مصر أحد أقطار الاسلام ومقصدي الوحيد أن أطلع في ذلك المكان على الاعمال المجموعة في القرآن من الآداب والاخلاق والقوى والمعرفة وأعلم بقدر الامكان ماهي العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين

ذوى التربية .. البيت . انما القصدي هذا لأني لم أكن مجاهداً لا ربح تلامذة .
أقول الحق ان المسلمين تأثروا عما يتهمون به عناداً وان أمرهم الظاهر قد
شبه على النصارى فكيف نحكم نحن معشر النصارى عليهم بالكفر بعد ان
نسمع قولهم لنا « آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن
مسلمون » . لماذا يا أبونا تسلطت على قلوبهم حزازة أبدية كهذه (كذا)

انى أقر وأعترف بأنى تعجبت غاية التعجب لما رأيت المسلمين راضين
بأن يتكلموا معنا عن موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم .
قال لي أحد علماء الاسلام الذي هو عالم بكتبنا وبالقرآن ككثيرين من
أمثاله : نحن لا نرى من المعصية البحث في الدين بل هو محبوب عندنا لان
الحق انما يظهر به ويتبين الرشد من الغي . تعالوا نبحث في هذه المادة
حتى توافي أي [illegible] على ان لا يكون اصلاح
ذات البين أمراً صعبا . لا ريب انه حدث عندنا ما كان يجب علينا تركه
لانا زدنا أشياء كثيرة على ديننا الطاهر الموجود في كتابنا الالهي . كذلك
فعلتم أنتم من قبلنا حتى انقلبت الامور عليكم من تهاونكم في حفظ الدين
من الشوائب . أكثر عقائدنا الاعتيادية وأعمالنا ليس لها سند من القرآن
أكثر مما للنصارى في أناجيلهم من السند بالنسبة الى سجودهم للتماثيل وعبادتهم
لمريم عليها السلام . ان رجعنا الى خالص تعليم نبينا صلى الله عليه وسلم
كما في كتاب الله ورجعتم الى خالص تعليم عيسى عليه السلام وحوارييه
كما في الانجيل الاصلي فلا نجد ما يفرق بيننا وبينكم . مسيحيتكم السابقة
ليست مردودة عندنا ولكننا نعتقد ان تعليمات عصر عيسى (عليه السلام)
والحواريين غشيتها الاباطيل منذ أيام قسطنطين الاول ورفض تلك الاباطيل

واجب . سيأتي زمان تترك فيه هذه المفاسد كلها ويبقى على الارض دين واحد خالص كل انسان يقدر على قبوله .

اني قبل ذلك كنت قد رأيت القبط في عبادتهم لمريم واعتكافهم للتماثيل الذين يتعلم منهم المسلمون المصريون عقائدهم المخصوصة المتعلقة بالمسيحية ولذلك ظننت ان صديقي كان مدركا لقضيته وحسب ان الانكليزي المتمدن بالنسبة الى المسلم العاقل مشابه للقبطي الجاهل . لايدخل في العقل ان نترقب ان المسلمين سيتركون عقائدهم وصور عباداتهم التي تربوا فيها بمحض أمرنا وارادتنا ويقبلون رسومات مرسلي النصارى الضيقة الذين يجتهدون أن يردوهم عن غيهم الى احدى العقائد المتناقضة الموجودة بين الرومانيين أو البروتستانتيين . المسلمون يسهل عليهم أن يقبلوا كتب العهد الجديد والاناجيل التي هم أحق كالبروتستانتيين في أن يفسروا أو يؤولوا تلك الكتب كما يشاؤون وهم يرفضون رفضاً تاماً كل صور العقائد المخترعة كالبنود التسعة والثلاثين المتعلقة بالكنيسة الانكليزية واعتراف الكنيسة الوستمنسترية أو القضايا المثبتة الاسنان وأمثال ذلك

كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره في السماء والارض وبرسالة عيسى (عليه السلام) الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وبقاء النفس في الآخرة إما في الرحمة وإما في العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل . أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) متقية جداً وبعض أدعيتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لايمكن لاحد من المستحقرين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها وهي أقل صعوبة للكثيرين

منا يوافقونهم فيها من بعض الادعية الشفاهية البروتستانية لله أو الصلوات الرومانية لمريم . خذ الفاتحة مثلا ، وهي دعاء يدعو بها المسلمون ربهم وقت الصلاة أو اقرأ هذا الدعاء. اللهم انصرنا وارحمنا واهدنا الى الصراط المستقيم . انا نؤمن بك ونتوب اليك ونستعينك ونتوكل عليك ونقر بأنك أصل الخيرات كلها انا نشكرك ولا نزال نرى آلاءك علينا فنسجد ولا نمشي مع الذين يخالفون ارادتك اللهم اياك نعبد وأمامك نركع وبين يديك نقدم صلواتنا وتسبيحاتنا نسألك من رحمتك ونخاف من غضبك الجدير به الملحدون[1] . دعاء آخر يسمى عندهم دعاء داود النبي وهو هذا: رب هب لي من محبتك هب لي أن أحب الذين يحبونك أوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه اجعل محبتك أحب الي من نفسي وأهلي وأعز من الغنى والذ من الماء البارد . لا يصعب ان يؤلف من بعض ادعية المسلمين كتاب صلاة ان لم يذكر مأخذها يكون مقبولا في البلاد المسيحية

ان كل عقيدة من العقائد الاسلامية قد أخذ بها بعض الاحزاب المسيحية والمؤلفين المسيحيين . مثلا المسلمون كلهم من دون مضايقة لا يقدرون ان يقبلوا توصيف الله الموجود لدى الكنيسة الوستمنسترية واعتقادهم بمسألة التقدير واقتدار الله تعالى كاعتقاد القسيس كالفين في ذلك .

(١) هكذا عربت عبارته الانكليزية والظاهر انه اخذ هذا من دعاء القنوت المأثور وهو « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق » نحفد نسرع وملحق بكسر الحاء بمعنى لاحق ، وانما أوردته لانه اشتهر عند بعض اصحاب المذاهب دون بعض

ورأيهم في المؤاخاة الايمانية عين رأي الوسليين. وفي مسألة القداسة والكهنوت او الامامة هم يشابهون الهزهازيين ومستر بريت. وفي مسألة التثليث رأيهم كرأي الموحدين منا ومستر شمبرلين. وفي الحشر والزكاة مذهبهم مذهب لورد سلبورن ومستر بوست فوردهوب. وعقيدتهم في الوحي والالهام عين عقيدة الحبر الشستري وأفكارهم في عذاب الآخرة كأفكار دوكتر بوسي وبالنسبة الى دوامه يميلون الى عقيدة ارشديقون فراد وهم أسرع من بعضنا في قبول عقائد دوكتر كمينك في مجيء عيسى الثاني او في قبول عقيدة القسيس بودي في أعمال الملائكة في الارض. لهم الوفاق التام مع أحسن الالهيين الانكليز في ان المقصود من الصلاة ليس ان نتبع ارادته لا ارادتنا بل ارادتنا لارادته. ان مرسليهم ودعاتهم وهم اكثر شرقا من جند النصرة بيننا كحزب الجنرال بوث ينادون بتعليم واحد مخصوص وهو الخلاص بالايمان ويصرون في ايجاب عمل واحد وهو الامتناع عن السكر. فما من عقيدة من عقائد الاسلام الا ونراها قد تمسك بها بعض الذين يسمون عندنا مسيحيين وما يمكن أن نرى أحداً من المسلمين قد تمسك بمفتريات او أباطيل كثيفة كالموجودة بين فلاحي جنوبي ايطاليا.

في المسائل المختلف فيها بيننا وبينهم يستدل المسلمون لها بالكتب المقدسة العبرانية في اثبات حقية عقائدهم وأعمالهم. مثلا هم يثبتون اباحة تعدد الزوجات وأخذ الاماء الواردة في القرآن بما فعل داود وسليمان ويعقوب وابراهيم والانبياء العظام اولو الاحترام عليهم السلام. وان لمتهم على الاسترقاق اجابوك كالامريكانيين المستعبدين في ايامنا ان ذلك غير منهي عنه حتى في الاناجيل لان فليمون كان مالك

عبد أبق منه الى القديس بولس وعو رده الى مولاه وكان يأمر العبيد ان يكونوا خاضعين لسادتهم . لكنهم مع كونهم متمسكين بتعدد الزوجات وبنكاح الاماء والاسترقاق لانها غير منهي عنها في القرآن والتوراة وكذا الانجيل فعدد كثير منهم يعتقدون بالجزم انها غير مفيدة اى لعدم تحقق شروط اباحة تعدد الزوجات الآن من العدل بينهن والتسوية الخ

أما الحروب المقدسة الاولى التى حصل منها ظفر المسلمين فهم يبرهنون عليها محتجين بما فعل بنو اسرائيل فى فتح كنعان ويقولون : أما كان الخلفاء ارحم من يوشع بن نون عليه السلام او من صموئيل النبي عليه السلام حين امر بقتل اجاج والعمالقة أو من الياس النبي عليه السلام اذ قتل اربعمائة وخمسين كاهنا لبعل وان اعترضت عليهم ان هذه الوقائع انما هي مذكورة فى تاريخ اليهود أجابوك بل تاريخ النصارى لا يخلو ايضا من الحروب الدينية أو ان الدين المسيحي انتشر بالسيف . يصعب على الانسان أن يجد فى تاريخ الاسلام ما يساوي استئصال الجبليين على يد البوسطانيين اوتعميده الاجبارى لسبعين الف وثني فى اسيا الصغرى . او تأتى الى زمان أقرب وتقول لا يمكن أن يلام الاسلام على تعديات فظيعة مثل ما ارتكب اينوسنت الثالث على الالبيجيين أو كقتال سنت برتلو او كمارات شارلمين الاستئصالية للسكسونيين او كاجلاء المغربيين والمورسقين من اسبانيا او كتعديات الاعصر الوسطى على اليهود . فلنقس قتل الصليبيين لعشرة آلاف من المسلمين حين سخروا لك البلدة أو قتل سبعين الف نفس من المسلمين حين فتح كودفرى دى بويلون لاورشليم بالرحمة التى اظهرها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حين فتحها المسلمون أول مرة أوحينما استردها

صلاح الدين من الصليبيين ثاني مرة . ما أكبر الفرق ! المسلمون يدعون — وأنا افتكر انهم على الحق — ان تواريخهم اقل تلوثاً بالدماء من تواريخ النصارى . وان قلت ان الصليبيين قد مضى تاريخهم قالوا وكذا مضى تاريخ الهلاليين

لكن هذه المسائل التي فاتت فوت العمد من فكر القسيس مكوم مكول تركها له ان يشتغل بها في مقالته الآتية التي سيكتبها في الاسلام والتمدن في جريدة كونتمبورى . اني اقر باني احب كثيراً ان اكون حاضراً حين وقوع البحث بين ذلك المجادل الماهر وبعض خلاني المسلمين الذين لا يكونون اقل مهارة منه ولا ادنى [illegible] المقسوم في ظني متوقف على فصل القاضي بين الخصمين

هناك تهمة أخرى وهي ان الاسلام غير متقدم . لكن هذا شيء يمكن القول به في حق كل الاديان الشرقية . وهي مسألة جنسية أو اقليمية لا دينية . الكنيسة القبطية أبطأ في تقدمها من الاسلامية . كتب صلواتهم وسبك عباداتهم وترتيب سعيهم هي عين ما كان في القرن الثالث من دون أدنى تغير . في ظني ان التقدم بين القبط هو اقل جداً مما حصل بين المسلمين . ومثل ذلك يقال في الهنود واصحاب بدها واتباع كونفوسيوس وغيرهم لعل أهل الشرق مبرؤن من حرصنا . لكن القسيس ملكوم مكول لا يحسب هذا شيئاً وينسب الفرق الى الدين ويوضح الشكل بفرضه ان كل تقدم للمسلمين خارج عن دائرة القرآن نوع من الكفر (أى على زعمه) . سلمنا ان هذه عقيدة القسيس ملكوم مكول . لكنها ليست من عقائد المسلمين انفسهم . هم يقرون علانية انهم كسائر الشرقيين متأخرون في

اكتساب العلوم الجديدة لكنهم يفتخرون بتلك النهضة العلمية المتعلقة بايام العرب المضيئة . والرغبة الى التقدم والتربية ليست عندهم من النوادر

ان شيخ مدرسة الازهر الذي مقامه كمقام الويس شنسلرق مدارستنا الكلية سأل وزير المعارف في مصر حديثاً أن يهيء وسيلة التربية الف ومائتين من تلامذة العلوم الالهية في الفنون الدنيوية . سمعت من محمدي عالم كان مدرساً في احدى مدارس الحكومة انه ذات يوم أعلن في بعض الجرائد الوطنية أن له النية أن يعطي درساً لبعض تلامذة مدرسة الازهر وفي أسبوع واحد جاءه أكثر من ستمائة طالب يستأذنونه بالدخول في الصف

لعل التعليم الانفع لهؤلاء التلامذة معرفة التواريخ لكن الصعوبة في هذه هي عدم وجود كتب متينة صالحة تحكي عن الدينين بروح الانصاف والمحبة . سألت يوماً تلميذاً من تلامذة الازهر هل قرأت كتب التواريخ . قال نعم عندي كتاب لكني لا احبه قلت له لماذا أجاب لانه يتهضم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله الباطل انه كان مفترياً . ظهر ان الكتاب كان عمل بطرس بادلي وهب له من أحد المرسلين الامركانيين فلا عجب انه لم يحبه . هل نحب نحن أن يهب المرسلون الاسلاميون كتباً لتلامذة مدارسنا الالهية مكتوباً فيها ان مؤسس ديانة المسيحية كان مفترياً

اني أترك لمقالتي الآتية بيان المذاكرة في موضوع دين المسيح وذكر رغبة كثير من المسلمين في اصلاح الحال حتى قال لي أحدهم لا يبعد ان يحصل بين المسيحيين والمسلمين مودة تامة وتماسّ بايدي الصداقة والاخوة وزوال أسباب الحرب ان شاء الله اسحق طيلر

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر

الذين يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ ميثاقه ويَقطَعُونَ ما أمرَ اللهُ به ان يوصلَ ويُفسِدُونَ في الأرضِ اولئكَ هُمُ الخاسرون

وصف الضالين بالفسوق ثم بين من حال فسوقهم نقض العهد الموثق وقطع ما يجب أن يوصل والافساد في الأرض وسجل بذلك عليهم الخسران وحصرهم في مضيقة بحيث لا مخرج منه الا من رجع عن فسوقه

أما العهد فلفظ مجمل لم تبين الآية ما يفسره ولم يجئ فيما تلاها ما يبينه . وكذلك ما أمر الله به أن يوصل لم يبين في سياق الآية ولا في لاحقها ما يفسره ويبين المراد منه . فما هو المعنى الذي يتبادر منه الى أفهام المخاطبين ، ويصح أن يؤخذ من حال اولئك الفاسقين ، الذين أنكروا على الله أن يضرب مثلا يقتدى به من البشر أو من العرب او أنكروا الوحي أن جاءت فيه الامثال القولية بما يعد حقيراً من المخلوقات في عرف المتظرفين منهم ؟ دل ذكر العهد والسكوت عما يفسره واطلاق ما أمر الله به بدون بيان ما يفصله على ان الله تعالى ما وصفهم الا بما هم متصفون به ولا حاجة الى بيان المجمل بالقول اذا كان الوجود قد تكفل ببيانه ، والواقع قد فسره بلسانه

يرشد الى فهم العهد الالهيّ هنا ما قلناه في معنى الفسوق فان الفاسقين هم « الذين ينقضون عهد الله » فاذا كان معنى الفسوق الخروج عن سنن

الله تعالى في خلقه التي هداهم اليها بالعقل والمشاعر وعن هداية الدين بالنسبة الى الذين أوتوه خاصة فعهدالله تعالى هو ما أخذهم به بمنحهم ما يفهمون به هذه السنن المعهودة للناس بالنظر والاعتبار والتجربة والاختبار أو العقل والحواس المرشدة اليها وهي عامة والحجة بها قائمة على كل من وهب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس ونقضُه عبارة عن عدم استعمال تلك المواهب بها استعمالا صحيحاً حتى كأنهم فقدوها وخرجوا من حكمها كما قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » وكما قال فيهم أيضاً « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » — هذا هو القسم الاول من العهد الالهي وهو العام الشامل للناس والقسم الثاني الكامل الذي هو الدين فالعهد فطري خلقي وديني شرعي فالمشركون نقضوا الاول وأهل الكتاب نقضوا الاول والثاني جميعاً وأعني بالناقضين من أنكر المثل من الفريقين .

والميثاق اسم لما يوثق به الشيء ويكون محكماً يعسر نقضه . وان الله تعالى قد وثق العهد الفطري بجعل العقول بعد الرشد قابلة لادراك السنن الالهية في الخلق ووثق العهد الديني بما أيد به الانبياء من الآيات البينات ، والاحكام المحكمات . وقد وثق العهد الاول بالعهد الثاني ايضاً فمن أنكر بعثة الرسل ولم يهتد بهديهم فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سنته في تقويم البنية البشرية وانمائها وابلاغ أعضائها حد الكمال الانساني

وأما قطع ما أمر الله به أن يوصل ففيه من الاجمال نحو ما في نقض العهد وليس هو بمعناه على طريق التأكيد وإنما هو وصف مستقل جاء متمماً لما سبقه . والامر نوعان أمر تكوين وهو ما عليه الخلق من النظام

والسنن الحكمة وقدسى الله تعالى التكوين أمراً بما عبر عنه بقوله (كن) وأمرُ تشريع وهو ما أوحاه الى أنبيائه وأمر الناس بالاخذ به. ومن النوع الاول ترتيب النتائج على المقدمات، ووصل الأدلة بالمدلولات، ومعرفة المنافع والمضارّ بالغايات، فمن أنكر النبي بعد ما قام الدليل على صدقه، أو أنكر سيطرة الله على عباده بعد ماشهدت له بها آثاره في خلقه، فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل بمقتضى التكوين الفطري. وكذلك من أنكر شيئاً مما علم انه جاء به الرسول لانه ان كان من الأصول الاعتقادية ففيه القطع بين الدليل والمدلول وان كان من الاحكام العملية ففيه القطع بين المبادئ والغايات لان كل ما أمر الدين به قطعاً فهو نافع ومنفعته تثبتها التجربة وكل ما نهى عنه حتما فلا بد أن تكون عاقبته مضرة. فالذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه هم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل بمقتضاه اما بالنسبة الى الايمان بالله تعالى وبالنبوة فيقطعون ما أمر به بمقتضى التكوين والنظام الفطري وأما بالنسبة الى الاحكام فيقطعون ما أمر به في كتبه أمر تشريع وتكليف

اذا كان مشركو العرب قد نقضوا عهد الفطرة وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل بمقتضاها بتكذيبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالمكذبون من أهل الكتابين قد قطعوا صلات الأمرين كما نقضوا العهدين فان الله تعالى قد بشرهم في الكتب المنزلة على أنبيائهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه ذكر للمبشر به صفات وأعمالاً وأحوالاً تنطبق عليه أتم الانطباق فحرفوا وأولوا واجتهدوا في صرفها عنه وهم متعمدون « وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ومنهم من يحمل تلك الصفات والعلامات

على غيره ومنهم ينتظر مبعوثاً آخر يجيء به الزمان

التعبير بالقطع هنا أبلغ من التعبير بالنقض ولذلك جاء بعده متمماً له كأن عهد الله تعالى الى الناس حبل محكم الطاقات موثق الفتل وكأن هذا الحبل قد وصل بحكمة أمر التكوين وحكم أمر التشريع بين جميع المنافع التي تنفع الناس فلم يكتف أولئك الفاسقون المنكرون للمثل الذي ضربه الله لعباده بنقض حبل العهد الالهي وحل طاقاته ونكث فتله حتى قطعوه وأفسدوا بذلك نظام الفطرة ونظام الهداية الدينية ولذلك عقب القول بقوله « ويفسدون في الأرض » وأي إفساد أكبر من إفساد من أهمل هداية العقل وهداية الدين . وقطع الصلة بين المقدمات والنتائج وبين المدلولات والمطالب والادلة والبراهين . ومن كان هذا شأنه فهو فاسد في نفسه ووجوده في الارض مفسد لغيره لأن شره متعد كالاجرب يعدي السليم ولذلك ورد في السنة النهي عن قرناء السوء والمشاهدة والتجربة مؤيدة للسنة ومصدقة لها خصوصاً اذا قعدوا في سبيل الله يصدون عنها ويبغونها عوجاً فان فسادهم يكون أشد انتشاراً وأشمل خساراً

ولما كان إفساد هؤلاء عاماً للعقائد والاخلاق والأعمال لان علته فقد الهدايتين هداية الفطرة وهداية الدين سجل عليهم الخسران وحصره فيهم بقوله « اولئك هم الخاسرون » بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة أما خسرانهم في الدنيا فهو ظاهر لارباب البصائر الصافية والفضائل السامية ولكنه يخفى على الاكثرين ، بالنسبة الى الاغنياء من اولئك الخاسرين ، يرونهم متمتعين بلذات الدنيا وشهواتها فيحسبون أنهم مغبوطون سعداء فيكون هذا الحسبان من آلات الافساد . ولو سبروا اغوارهم ، وبلو

أخبارهم ، لادركوا ان ما هم فيه من ظلمة النفس وضيق العطن وفساد الاخلاق ينغص عليهم أكثر لذاتهم ويقذف بهم الى الافراط الذى يولد الامراض الجسدية والنفسية ويثير فى نفوسهم كوامن الوساوس ويجعل عقولهم كالكرة تتقاذفها صوالجة الاوهام . وان حب الراحة يوقعهم فى تعب لا نهاية له وهو تعب البطالة والكسل أو العمل الاضطراري ومن لا يذوق لذة العمل الاختياري لا يذوق لذة الراحة الحقيقية لان الله تعالي لم يضع الراحة فى غير العمل . وانما سعادة الدنيا بصحة الجسم والعقل وأدب النفس الذى يرشد اليه الدين فمن فقد هذه الاشياء فقد خسر الدنيا والآخرة و« ذلك هو الخسران المبين »



﴿ باب الأخبار النبوية وسيرة السلف الصالح ﴾

(القضاء فى الاسلام — الترغيب والترهيب)

(١) قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به . ورجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار » . ومن أجدر بالنار ممن يقضي بغير الحق فيضيع على الناس حقوقهم بجهله أو بهواه ؟ . والحق هو ما كان عليه الأمر في نفسه فالمبطل من الخصمين من يخفيه والمحق من يطلب إظهاره وإصابته فى الحكم هي العدل فالحق والعدل لا يعرفان من كلام المصنفين والمؤلفين وانما كلام

(١) رواه ابو داود وابن ماجه وغيرهما عن بريدة وله الفاظ أخرى

العلماء يبصر القاضي ويهديه الى طريق الحق وهو يصل اليه باجتهاده وتحريه وتوفيق الله تعالى . واستدلوا بالحديث على أن القاضي لا يكون الا رجلا

و[٢] [٣] عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها أمانة وانها يوم القيامة خزيٌ وندامة الا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها » وفي حديث آخر انه قال له « يا أبا ذر اني أراك ضعيفاً واني أحب اليك ما أحب لنفسي لا تأمَّرنَّ على اثنين ولا تولَّينَّ على يتيم » في الحديث دليل على أن الضعيف لا يولَّى القضاء والضعف على اطلاقه فيشمل ضعف الرأي وضعف العزيمة والارادة وضعف النفس بأن يكون ممن يغلب عليه الجبن والحياء من الصدع بالحق أو يكون سريع التأثر والانفعال قريب الانخداع ومن الضعف ان يكون مهيناً عند الناس غير محترم ولا موقر لحال فيه تقتضي ذلك كالافراط في الدعابة والالمام بالخسائس والمحقرات

[٤] وقال صلى الله عليه وسلم « من جُعِلَ قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين » . الحديث تمثيل لخطر المنصب وحرج الموقف فان القاضي اذا جار وظلم كان له الخزي وسوء الاحدوثة في الدنيا وسخط الله وعقوبته في الآخرة وإن عدل أسخط نصف المتقاضين كما قيل

ان نصف الناس أعداء لمن ولِّيَ الاحكام هذا ان عدل

(٢و٣) رواها احمد ومسلم (٤) رواه أحمد وأصحاب السنن الا النسائي عن أبي هريرة ورواه غيرهم أيضاً

هكذا حمل أكثر العلماء الحديث على التنفير من القضاء وبيان الخطر فيه وقالوا ان قوله « بغير سكين » تهويل للذبحة وبيان لشدتها لان أهون الذبح ما كان بسكين فان كان بحدد آخر كالظر ان كان أشبه بالخنق وسخروا من قاض قال ان ذلك اشارة الى الرفق واراحة المذبوح . ولهذا الحديث وأمثاله كان أهل الدين والورع من السلف يتحامون القضاء ويفرون منه فكان ذلك سبباً في جعل هذا المنصب العظيم في أهل الطمع والدهان للامراء والسلاطين وكانت هذه السنة من أقتل أمراض المسلمين، وأفتك ادوائهم في الدنيا والدين

وحمل أبو العباس أحمد بن القاص الحديث على جهاد النفس وترك الهوى وقال انه لا يفيد كراهة القضاء وذمه واستشهد لذلك بأحاديث ذكر فيها الذبح و[illegible] في بيان ذلك و[illegible] وورد في تعظيم شأن الحكم بين الناس في الكتاب والسنة وانه وظيفة الانبياء عليهم السلام وذكر من ولي القضاء من الصحابة عليهم الرضوان . ولا حاجة الى هذا كله في تأويل الحديث فان الترهيب له أهل وقد علم قاضي الجنة من قاضي النار وقال (ص) : « من ابتغى القضاء وسأل فيه الشفعاء وكل الى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده »[٥] . وفي حديث الصحيحين الوارد في مطلق الامارة لم يشترط الاكراه عليها وهو قوله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير

(٥) رواه ابو داود والترمذي عن أنس وقال حسن غريب وفي رواية « واستعان عليه بدل « وسأل فيه الشفعاء » . وبدل كلمة الاكراه « ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه » ويشهد لها حديث الصحيحين

مسألة أعنت عليها ، وان أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ اليها » ، وهذا لاطلاق هو الظاهر وتؤيده الرواية الاخرى لأن الذين يتهافتون على القضاء والامارة هم الذين يجنون بالمناصب المال والجاه لا إقامة العدل وتعزيز الحق ولذلك يطلبونها بالشفعاء وقلما يسأل المستمد لشيء الطالب للحق شفيعاً يوصله اليه لأنه يعتمد في الغالب على استعداده الا اذا كان في أمة وحكومة ضاع الحق بينهم وحينئذ يفضل البعد والهرب من المناصب غالبا (٦) وقال (ص) ان الله مع القاضي مالم يحف عمداً » (٧) وقال (ص) : « ان الله مع القاضي مالم يجُر فاذا جار تبرأ الله منه وألزمه الشيطان » ونكتفي بهذا القدر من أحاديث الترغيب والترهيب فمقام القضاء مقام رفيع وعلى قدر الارتفاع يكون خطر السقوط وسنأتي ببيان آدابه وأحكامه في الاجزاء التالية ان شاء الله تعالى

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

خبر سلمان الفارسي واسلامه رضي الله عنه (*)

روى ابن أبي شيبة في مسنده عن سلمان رضى الله عنه أنه قال : كنت من أبناء أساورة فارس وكنت في كتاب ومعي غلامان وكانا اذا رجعا من عند معلمهما أتيا قسيساً فدخلا عليه فدخلت معهما فقال ألم أنهكما أن

(٦) احمد عن معقل بن يسار والطبراني عن ابن مسعود (٧) الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم عن عبد الله بن أبي أوفى (*) ذكرنا في هذه المرة الآثار في غير معنى الاخبار النبوية وسنعود الى طريقتنا الاولى في الاجزاء التالية

تأتياني بأحـد فجعلت اختلف اليه حتى كنت أحب اليه منهما فقال لي اذا سألك أهلك عن حبسك فقل معلمي واذا سألك معلمك فقل أهلي . ثم انه أراد أن يتحول فقلت له أنا أتحول معك فتحولت معـه فنزلت بقرية فكانت امرأة تأتيه . فلما حُضِرَ [2] قال يا سلمان احضر عند رأسي فحضرت عند رأسه فاستخرجت جرة من دراهم فقال صبها على صدري فصببتها على صدره فكان يقول « ويل لاقتنائي » ثم إنه مات فقلت للرهبان من لي برجل عالم أتبعه فدلوني على رجل فأتيته فقلت ما جاءني الا طلب العلم قال فاني والله ما أعلم اليوم رجلا أعلم من رجل خرج بأرض تيماء وإن تنطلق الآن توافقه وفيه ثلاث آيات يأتي المدينة ولا يأكل الصدقة وعند غضروف كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة لونها لون جلده فانطلقت حتى مررت بقوم من الأعراب فاستعبدوني فباعوني حتى اشترتني امرأة من المدينة فسمعتهم يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لها هبي لي يوماً قالت نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته وصنعت طعاماً فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسيراً فوضعته بين يديه فقال : ما هذا؟ قلت صدقة فقال لاصحابه « كلوا » ولم يأكل قلت هـذا من علامته . ثم مكثت ما شاء الله أن أمكث ثم قلت لمولاتي هبي لي يوماً قالت نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته بأكثر من ذلك وصنعت طعاماً فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه فوضعته بين يديه فقال : ما هذا؟ قلت هـدية فوضع يده فقال لاصحابه « خذوا بسم الله » وقمت خلفه فوضع رداءه فاذا خاتم النبوة فقلت أشهد انك رسول الله . قال وما

(٢) حضر واحتضر مجهول أي حضره الموت

ذاك فحدثته عن الرجل ثم قلت : أيدخل الجنة يا رسول الله فانه حدثني انك نبي « قال : لن يدخل الجنة الا نفس مسلمة »

وفي كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محيي الدين بن عربي بعد ذكر الاسانيد ما نصه :

« عن ابن عباس قال حدثني سلمان قال كنت رجلا فارسياً من أهل أهل أصبهان من قرية يقال لها (جي) وكان أبي دهقان في قريته وكنت من أحب الخلق اليه فما زال حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية وكنت قد اجتهدت مع المجوسية حتى كنت قطن النار أوقدها لا أتركها تخبو ساعة اجتهاداً في ديني وكان لابي ضيعة في عمله وكان يعالج بنيانه في داره فدعاني فقال : أي بني انه قد شغلني بنياني كما ترى فانطلق الى ضيعتي هذه ولا تحتبس عني فانك إن احتبست علي كنت أهم الي من ضيعتي ومن كل شيء وشغلتني عن كل شيء من امري . قال فخرجت أريد الضيعة التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يعملون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم فقلت والله هذا خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غابت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين فقالوا بالشام

قال : ثم رجعت الى أبي وقد بعث في طلبي فشغلته عن عمله كله فلما جئته قال يابني أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت ؟ قال قلت يا أبي مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم

فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال أبي : اي بني ليس في ذلك الدين خير بل دينك ودين آبائك خير . قلت كلا والله انه لخير من ديننا . قال فخافني وجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيتي

قال : وبعثت الى النصارى فقلت ان قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني . فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني قلت اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم اعلموني بهم . قال فالقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام . قلت من أفضل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة فجئته فاعلمته انى قد رغبت في هذا الدين واكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال فادخل وادخل فخدمته معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا له شيئاً اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين منها شيئاً فما لبثت أن مات فعرفت النصارى بامره قالوا وما علمك بذلك قلت انا أدلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه وصلبوه ثم رموه بالحجارة

ثم جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا في ملته أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهاراً قال فاحببته حبا لم أحب شيئاً كان مثله فاقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة . قلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حباً لم أحب شيئاً كان قبلك مثله وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من تأمرني ألحق به قال يابني والله ما اعلم أحد اليوم على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا كثيراً ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه

فالحق به . فلما غيّب لحقت بصاحب الموصل فقلت يافلان ان فلاناً اوصاني عند موته ان الحق بك وأخبرني انك على أمره . فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصيني قال والله اني ما أعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين فجئته وأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فوجدته على أمر صاحبه فأقمت معه فكان خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما حضرته الوفاة قلت يا فلان ان فلاناً أوصاني الى فلان وأوصاني فلان اليك فالى من توصيني وما تأمرني . قال أي بني ما أجد أحداً بقي على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل أمرنا فان احببت فأته فلما مات وغيّب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم

قال : ثم اكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فأوصاني الى فلان ثم أوصاني فلان الى فلان ثم أوصاني فلان اليك فالى من توصيني وتأمرني قال أي بنيّ والله ما أعلم على ما كنا عليه أحداً من الناس آمرك أن تأتيه ولكن قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً الى أرض بين الحرتين بها نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق

بتلك البلاد فاقبل

ثم مات وغُيِّب ومكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مرّ بي نفر من كلب تجار فقلت أتحملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقري هذه وغنيمتي هذه فاعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى اذا قدموا بي وادي القرى ظلموني وباعوني من رجل يهودي فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي وصفه لي صاحبي فبينا أنا كذلك اذ قدم ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه وحملني الى المدينة فوالله ماهو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لاأسمع له بذكر مع ما أنا عليه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي رأس عذق لسيدي اعمل فيها بعض عمله وسيدي جالس تحتي اذ أقبل ابن عم له فوقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة والله أنهم الآن مجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم انه نبي . قال فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة وجعلت أقول لابن عم سيدي ماتقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال لي مالك ولهذا أقبل على عملك قلت لا لاي شيء أردت استثبته عما قال . وكان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت المسجد عليه فقلت له بلغني انك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء عندي للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم ثم قربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا وأمسك يده ولم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً لما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجئته فقلت له أني رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه . فقلت في نفسي هاتان ثنتان

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد تبع جنازة رجل من أصحابه عليه شملتان فسلمت عليه ثم استديرته انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استديرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره . فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين

يديه فقصصت حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع أصحابه

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتب ياسلمان » فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة احييها بالفقر وبأربعين اوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعينوا أخاكم » فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين والرجل بخمسة عشر والرجل بقدر ماعنده حتى جمعوا ثلاثمائة ودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذهب ففقرها فاذا فرغت اكون أنا أضعها بيدي » قال ففقرت لها فأعانني أصحابه حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي اليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حتى فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة • فأديت النخل وبقي علي المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب فقال : مافعل الفارسي المكاتب ؟ فدعيت له فقال « خذ هذه فأدها بما عليك ياسلمان » قلت ما تقع هذه يارسول الله مما علي [illegible] فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق واحداً ثم لم يفتني اه

(تفسير الغريب) قوله: قطين النار قال شمر أي خادمها وخازنها وقال ابن الاثير اراد انه كان ملازماً لها ويروى بفتح الطاء جمع قاطن • فقر الارض وفقرها حفرها والفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست • وفقير النخلة حفيرة تحفر للفسيلة اذا حولت لتغرس فيها وفي الحديث قال لسلمان اذهب ففقر الفسيل أي احفر لها موضعاً تغرس فيه • الودية فسيلة النخل جمعها ودي اه لسان العرب والعُرَواء رعدة تأخذ الانسان عند الحمى والفزع ونحو ذلك

(الثار) أوردنا هذه الرواية بطولها اجابة لرغبة بعض الفضلاء، ولأنها ممثلة للانحراف عن الدين كيف يكون في الامم حتى يبقى المتمسكون بالحق معدودين يعرف بعضهم بعضاً على تنائي الدار ولا يعرفهم سائر الناس بخصوصيتهم • وفي هذا عبرة للذين يعرفون الحق بكثرة القائلين، ان كانوا بمثله معتبرين،

باب التربية والتعليم

﴿ تعليم السباحة ، وتربية العضلات (*) ﴾

(المكتوب ٣٧) من هيلانه الى اراسم في ١٤ يوليه سنة — ١٨٥

لقد زها « اميل » بالمكتوب الذي ارسلته اليه وأعجب به اعجاباً كثيراً وكان فيما رأيته شديد الحنق من عجزه عن قراءته بنفسه وهو على انتظار بلوغ اهلية الترسل قد طلب الي أن اكتب اليك بما تلقاه من أخبار حادثة الغرق بعد الذي أخبرتك به فأقول : قد ابتلي ملاحو السفينة بضروب المحن وأنواع الشدائد ثم اخترمتهم المنية فلم يبق منهم الا واحد اخذ يتحسن ويستجمع ما بدد من قواه ويتيسر التفاهم معه بواسطة ربان اسبانيولي يعرف لغته ومما استفيد من أقواله أن السفينة الغريقة المسماة (أنّا كوكو) كانت لرجل من الملاحين في بلاد البيرو (١) شحنها بضاعة وقصد بها انكلترا فما هو الا ان [illegible] ما لقيه من العواصف فأغرقها ومما يوجب الأسف ان ذلك الرجل اصبح بالاسيل لاريب فيه وقد كان استصحب بنته وهي في الخامسة من عمرها لاسباب لاتزال في طي الخفاء وكان من في السفينة يدعونها لولا وهو اسم مختزل فيما أظن من دولوريس

عهدت الى بعض الناس هنا بمراسلة أهل الفتاة في بلدهم ولما يجبه أحد منهم ويقول الملاحون انها فقدت والدتها من بضع سنين وليس لها أخ ولا أخت ولم يبق من ذوي قرباها الا أباعدهم ويؤخذ من كلامهم ان صاحب السفينة كان من المثرين ولكن ما أدرانا ان ثروته لم تكن قصوراً في اسبانيا (٢) لان البيرو هي اسبانيا وراء البحار

أثار في نفسي سوء حظ هذه الفتاة عواطف الرحمة والحنان فأمسكتها حتى يأتيني فيها أمرك وأنا على يقين من ان عملي هذا لايقع منك الا موقع الرضا لم اني قد

(*) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم من باب الولد

(١) بلاد البيرو هي جمهورية في أمريكا الجنوبية عاصمتها ليما وسكانها ٣٠٠٠٠٠٠ نفس

(٢) يشير بقصور اسبانيا الى المثل الفرنساوي المشهور وهو قولهم « ان فلاناً يبني قصوراً في اسبانيا » يضربونه لمن يتعلل بالاماني الباطلة ويحلم بادراك المقاصد الخيالية

لاحظت فى أحوالها وهيأت أفعالها شيئاً من الجفاء والوحشة ولكنى أرى على هذا الجفاء الصبيانى مسحة من الحسن والطلاوة كما ان وجهها تبدو عليه مخايل الجمال والنضرة وهى الآن تعلم « اميل » ما تعرفه من الاسبانيولية على قلته وهو أيضاً يعلمها الفرنساوية والانكليزية ولا غرو فان الاطفال يتفاهمون بالرمز من الكلم أسرع ما يكون اهـ

(المكتوب ٣٨) من هيلانه الى اراسم فى ١٧ يوليو سنة ١٨٥—

انى مع اشتغالي بتربية عقل « اميل » أرى ان اخص ما يجب الاشتغال به فى سنه هذا ان تعد فيه لاحتمال متاعب الحياة اعضاء سليمة قوية من أجل ذلك تجدنى أحثه على ممارسة الرياضات البدنية والاكثار من قبض عضلاته وبسطها اختياراً واقتحام العقبات التى لا تخرج عن وسعه اقتحامها . ثم ان لى رجاء قويا فى ان لا يصير من المصارعين ولا أحب أن أرى فيه مثالا صغيراً لذلك المصارع الشهير المدعو ميلون دوكروتون وان أوتيت من أجله اقصى شئ فى السنا ولكنى أرى ان كل ضعف يلحق الانسان بدنياً كان او عقلياً يصير [illegible]

قد بدت على قوبيدون [illegible] لكون « اميل » لا يزال جاهلا بالسباحة ولما كان يفضى الى بأسفه من ذلك كنت اعترض عليه بأنه لا يزال من حداثة السن بحيث لا يستطيع ان يمسك نفسه على الماء وهو اعتراض لم يكن له قيمة لانه اذا كان ما يعترى الانسان من الخوف عند وجوده فى مكان مجهول له هو اكبر العوائق التى تعطل جري حركاته فى هذا المكان فلا يكون تقدمه فى السن الا من أسباب ازدياد هذا الخوف وقوته . والذى يستفاد من كلام الزنجي البار انه كان يسبح من عهد ولادته وهو يقصد بذلك ولا شك انه لا يذكر تعلمه السباحة كما انه لا يذكر تعلمه المشى على الارض لان هذين النوعين من الرياضة هما فى نظره من الامور الفطرية . انتفت عنى شكوكي ومخاوفي بتأكيده ان لا خطر على « اميل » من تعلمه ذلك الفن وقد رأيت أن من مزايا تعلمه انماء العضلات وتقويتها وكأنه يوسع مجال حرية الانسان فى حركته ومرحه فى برزخ يصل بين عنصري التراب والماء وهو فوق ذلك وسيلة من وسائل النجاة ومن هذه الجهة يكون تعلمه فرضاً علينا لانفسنا ولنظرائنا . على انى كنت أعرف فى قوبيدون انه وان كان يغلب عليه التهور فى تعريض نفسه للخطر يحرص كل الحرص على حياة « اميل » فلا يعرضها لما يخشى منه ولو سبقت له فى ذلك

الدنيا بحذافيرها •

يوجد على مقربة منا شبه بحيرة صغيرة ناشئة من اجتماع مياه غدير يصرفه عن الانصباب في البحر ما يعترضه من الشعاب والكثبان فرآها قويدون موافقة لتعليم «اميل» مبادئ السباحة فأنشأ يعلمه فيها غير متخذ له منطقة من الفلين ولا مثانة مملوءة بالهواء ولا غيرها من الآلات الاخرى التي تستعمل احياناً ان لم أكن واهمة لمساعدة قوى المبتدئين في السباحة ولما كان يقال له في ذلك كان يجيب بلسانه السالج قائلا يجب أن يكون الطفل قلبئة نفسه • وأرى ان طريقته في التعليم سهلة جداً على حسب ماتيسر لي من الحكم عليها فأهم شيء بنيت عليه هو بث روح الثقة في نفس المتعلم وقد أكد لي من رآه في وقت التعليم انه من أجل أن يكون قدوة في ذلك لتلميذه كان يستلقي على ظهره في الماء ناظرا الى السماء سادا فاه متنفساً بأنفه وقد برز جزؤه من الماء فكان لسان حاله [illegible] في هذا الوضع يقول لتلاميذه ها أنتم أولاء ترون أن الانسان لايمكن أن يغرق وانه اذا غرق بعض الناس فانما يغرقون مختارين •

ثم يلبث هذا [illegible] كثيراً من [illegible] البحر [illegible] تلميذه غير انه كان يرمي في سبيل محاجته [illegible] من ذلك [illegible] فكنت اسمعه يهم متهكما بالسباحة في البحيرة قائلا : ما أحسن السباحة في مستنقع من البحيرات وحدثني عن البحر يجري أنه صافية فهو الذي يمسك من يسبح فيه ويسنده ويزيد في قواه ولكني كنت أعارضه وأنهاه عن الذهاب «بأميل» اليه وعن تجربة سباحته فيه لما كان يخامر قلبي من الروع والفزع المنبعث عن المبالغة في توهم ما عسى أن يكون في ذلك من الاخطار لأني أكبر هذا الخلق العظيم وأجله اجلالا مشوباً بالروع فانه كثيراً ما اغتال اناساً في نواحينا ولابد أن أقول ان «اميل» أيضاً كان يشاركني في هذا الروع بعض المشاركة لأن البحر خلق حي مضطرب يرتفع وينجذب السابح فيه اليه مصطخبا وفي كل صفيحة من صفائح أمواجه شخص بل عدو لذلك السابح عامل على اهلاكه وفي دوام روحات هذه الامواج وجيآتها مايمثل للانسان اضطراب بحر الأزل بعوالم المخلوقات ويقوم له منه أكبر موعظة وذكرى تنبهه الى ضعفه وعجزه

لم يطل عهد نفور «اميل» من البحر وخوفه منه وهاأنذا مبينة لك السبب الذي قطع ذلك النفور وشرد هذا الخوف فأقول •

انه يفهم من سجنك معي مبهما ولم أرد ان أكشف له حقيقة هذا الامر الذي

يهيج الكلام فيه ساكن آلامي ويثير كامن أشجاني لسببين اولهما انه يصعب عليه فهم مرادي من الكلام (فماذا عسى أن يفهمه من قولي لهان والدك سجن بسبب سياسي) وثانيهما ان سوء ادراكه للحوادث التي حصلت قديماً في نفسه غص فرائسا وعداونيا لذلك تراه قد جره امساكي عن الخوض في هذه المسألة الى ان يخترع لها حكاية يعللها بها فهو يتوهم انك أسير في قبضة جنية أو غول اوثنين وانك رهين قلعة يحصنها البحر وربما كان الباعث له على هذا وجوده يوماً مافوق صخرة وغشيان الماء اياه واحاطة الامواج به احاطة ذلك الكلب الخرافي ذي الرؤس الثلاثة المقول في أساطير الاولين بأنه حارس جهنم ومهما كان الحامل على ذلك الاعتقاد فانه قد وطن نفسه على ان يحمل حملته الاولى لتخليصك مصاحبا لعزم كعزم اشراف المائدة المدورة (١) او كعزم شاب باسل قتال للوحوش غلاب للاغوال على أني لا يسعني الا اتهام الزنجي الخبيث بأنه زين له اوهامه وحبب اليه ضياع نفسه ليحمله على متابعته في آرائه وموافقته لافكاره

دخل عليّ ... [illegible] ... وقد غلب على «أميل» مايغلب ... [illegible] ... الى المكان الذى جاء امه وهاج غضبي ... [illegible] ... وعنفتهما على مخالفتهما لامري فلم يتزعزع «اميل» لهذا الهياج بل انه تلقاه بثبات الشجعان وأجابني وقد بدا على وجهه من الاصرار ما لم أعهده فيه من قبل فقال اني اريد ان أتعلم السباحة لافك والدي من أسره وآتيك به فلما سمعت منه هذه الكلمة وشاهدت لحظه المعرب عن حرية ضميره وخلوص طويته ورأيت ثقته بنفسه الناشئة عن سذاجته وعلمت مقاصده النبيلة حتى سكنت ثائرتي وكفت بادرتي فبششت في وجهه بعد العبوس وتبسمت له وضممته الى صدري واشبعته تقبيلا في جبينه الذي كان لا يزال مندى بماء البحر ام (١٣٩م) من هيلانة الى أراسم في ١٨ يوليه سنة — ١٨٥

اذا صح مانشرته الجرائد الانكليزية وما ذاع من الاشاعات في العوام لم تبق حاجة «لاميل» في أن يتسلح بسلاح الاشراف ولا أن يطوى البحار ليخلصك من قبضة التنين

(١) اشراف المائدة المدورة هم رهط من الاشراف عددهم أثنا عشر يجعلهم كتاب القصص القديمة من رفقاء ارتوس وهو شجاع قصصي من شجعان بريطانيا العظمى

الذي يعتقد انك في أسره لان الناس هنا يتكلمون بحصول خصوصياتي واني كنت اتمنى ان يحصل لك من الحكومة فوق هذا العفو عمل يكون جزاء لما لحقك من الضرر وتحقيقاً لمقتضى الانصاف ولكني لم أطلب لك شيئاً من ذلك فلا تعجل بالرفض واعلم ان قلبي يرقص طرباً كلما فكرت في وقت التلاقي اه

(م٤٠) من الدكتور وارنجتون الى هيلانه ...

ايتها السيدة

علمت الليلة في لوندرة خبراً أبادر بابلاغك اياه ذلك ان زوجك قد منح نعمة الحرية وفي الختام لك مني السلام والاحترام اه

آثار علمية ادبية

سوانح وبوارح

من نظم الشاعر العصري الاديب الاستاذ الشيخ محي الدين الخياط البيروتي

ذكرت بالفضاء ربعاً وداراً ... فهي تأبى دون الفضاء ديارا
ذكرت ظعنها فهاجت وهامت ... فهي تأبى الهويم الاقرارا
حلها لظعين تفري الفيافي ... تتحرى أثره وتبري القفارا
هزها الشوق والغرام حداها ... فهي تأبى دون القرار قرار
نزعت تضمر الرهان بقفر ... هي فيه لن تبلغ المضمارا
ملعب دونه السوابق حسرى ... مثلما دونه القلوب حيارى
أيها السابق الجري رويداً ... سابقات الافكار ليست تجارى
تتحامى قبة الاثير مجالاً ... لحظاها واحذر عليها العثارا
يرجع الطرف خاسئاً عن مداها ... حيث لايدرك المجلي الغبارا
هي ترجو كشف السرار ولكن ... اين منها ان تدرك الاسرارا
موقف عنده الانام حيارى ... وسكارى وماهم بسكارى
موقف كم به خواطر شتى ... خطرت وهي ترقب الاخطارا

ولجت في محيط لج تخاضت ... في دجاه الخضارم الزخارا
ركبت صهوة الفضاء فزلت ... ثم راحت تستصرخ الأكرا
فلكا دائراً وشمساً وبدراً ... ونجوماً منازلا أدوارا
روضة من بنفسج عقد الأفـ ... ـق عليها من زهره أزهارا
خيمة من زمرد أو غدير ... سندسي يموج بالشهب نارا
بالنهر على المجرة يسقى ... نرجس الأفق من سناه جارا
سرطان يعوم فيه وحوت ... وترى النسر حام يبغي وجارا
ويصب الميزان بالشط منه ... ما عهدنا كنهره أنهارا
والثريا كطائر من نضار ... او كجام بمحفل الأفق دارا
وسهيل ظمآن يبغي وروداً ... او مشوق يستطلع الاخبارا
زهرة الزهر بين ريّا الخزامى ... ذكرتنا زهر الربى والعرارا
وكأن الجوزاء شجرة تبر ... حولها الفرقدان طيران طارا
وكأن السماك في [illegible] ... [illegible] من الدجنة ثأرا
وذكا [illegible] ... [illegible] الانوارا
وهلال [illegible] ... [illegible] الأفق [illegible] الأعصارا

وبنات النهاء تحمل نعشاً ... مستديراً فوق الرؤوس استعارا

.:.

رب ورقاء فوق خوطة بان ... جددت لي بسجعها تذكارا
ذكرت إلفها فحنت وأنت ... وتغنت تهيج الأطيارا
أعربت لحنها فكادت بشجو ... وشجون تستنطق الاشجارا
بلسان الزمان تطلب مني ... شرح حالي وحاليه جهارا
قلت ذات الهديل هيهات عني ... أن تعطي او تهتكي الاستارا
حالتي لو عقلت ياذات طوق ... لأختصرت المقال فيها اختصارا
أو تفكرت في المنى والمنايا ... لنسيت الآمال والأفكارا
أنت القدير نادرت طرقي ... ذا شؤون ولم يكن غدارا
رددي النوح ياحمام فقلبي ... بين نوح الحلم والوجد طارا
حدثي النفس فالحديث شجون ... عل منك الحديث يشفي الأوارا
عل منك الهديل يرجع قلباً ... قلباً بالغرام طار نفارا

ليس بدعاً أن حار فالكون هادٍ مرشد والأنام فيه حيارى
أم حالها عجيب ودنيا هي منهم والله أعجب دارا
في فيافي الوجود تاهوا قديماً وهم الآن يخطبون القفارا
يعجب الدارس الحقائق عنهم وهو يتلو من خلقهم أطوارا
لو يؤوبون للضمير جميعاً لرأينا الملائك الأبرارا



قد مُنّا الأعمار عصر حديث سل بالأحداث الفتي والقرارا
ملك اللب حيّر الأفكارا أدهش السمع أذهل الأبصارا
لقبوا علمه بعلم الترقي صح هذا لو لم تدنسه عارا
شوه الله وجه علم علينا شوه الدين شوش الأفكارا
ليت شعري ماذا جنينا منه العلم وماذا جنى بنوه ثمارا
هل جنينا غير التعلق بالأز ياء والبذخ والفجور اختيارا
ام جنينا منه التفنن بالكسـ ـم والرياش الذي لا يبارى
بل فقدنا الأخلاق والدين فيه وعدمنا عفافنا والوقارا
ولبسنا ثوب الدوالي تزينا وحفظنا عمارة نتعارى(١)
ان تعزّ الحرية اليوم هذا فابك يارق وابدب الأحرارا
أبهتك الستار سدتنا البرايا أم بذات الخمار شدنا الفخارا
تعادي حكم النواميس جهراً وتواري الحقائق استكبارا
وتساوي من لا يساويه شيء أو يساوي الأضداد والأغيارا
او يعيد الأوضاع وضعاً جديداً أو يخطي الوجود والأقدارا
تعرف الداء والدواء ولكن لم تراع الأزمان والأدوارا
لم تراع الأخلاق والأطوارا لم تراع الأجسام والأفكارا
تعرف الداء والدواء وتنسى ان داء الأساة زاد انتشارا
تعرف الداء والدواء وتنسى ان جرح الأساة أمسى جُبارا(٢)
تعرف الداء والدواء وتبقى اخذه صُبْرة وتنسى البوارا(٣)
أيُناجي من شأنه أن يناغي ام يُماري من شأنه أن يُجارى

---

(١) الثوب الدريس هو الخلق البالي (٢) الجبار الهدر أي ان جرح الاساة وهم الاطباء لا قصاص فيه (٣) أخذه صبرة أي بلاوزن ولا كيل

أيها العصر أي علمك أجدى   دعة راحة نماماً ذمارا
أنت عصر العلوم لكن عليه   قذف الجو رجمه اعصارا
لاتذم العلوم منك ولكن   ستذم الآثام والأوزارا
أيها المتكبر للكاير عفواً   كبرت يوح بالضحى ان توارى(٤)
ان أردت الدليل دون انحياز   ابلجاً ناصعاً يضاهي النهارا
هذه الناس والشعوب جميعاً   لك كالدرس فاخترها اختبارا
واغب أعرق الجميع علوماً   ونفوذاً وسطوة واقتدارا
ثم قابل أعماله والترقي   بعلوم الاخلاق تلق اعتبارا
غمض حق ونقض عهد وجوراً   وفجوراً وأثرة وختارا
لايرى غيره من الناس الا   مثلما قد يرى القصور القرارا(٥)
كل حكم له شذوذ وخرق الـ   ـحكم في الخلق سنة لا تبارى
ويحكم المجموع حكم البرايا   وعليه لاتنكر الاخبارا



[illegible]   ان [illegible] من كان جارا
وتضحي [illegible] كل ضعف   [illegible] الضعف الاعمارا
لاترع أيها اليراع فمهدي   ان يروع المهند البتارا
ان فوق الطروس منك صريراً   يستبيل الغضنفر الزآرا(٦)
واذا ماجرى خيلك بالحـ   ـس يفل العرمرم الجرارا

٭٭٭

زعموا الدين والترقي محالا   زعموا باطلا وقالوا كبارا
ان أسفار كل دين دليل   ان أرادوا فلينظروا الاسفارا
ان آثار ديننا هي فيهم   ان أرادوا فلينظروا الآثارا
وليجيبوا وسطى القرون وما قبـ   ـل فقد يحمد السراة السرارا
دار مصر والقيروان وغرنا   طة وفاس وبصرة عمت دارا
وسمرقند من دمشق وبغدا   د عليك الديار تبكي الديارا
لب ذكرنا القديم وعزو   اتما ذكره يعد اعتبارا
ليس يجدي المجد القديم ولكن   يتأسى من ينشد الاشعارا

(٤) يوح اسم الشمس (٥) القرار الغنم الكبار واحدها قرقور والقصور الاسد يقصر فريسته أي يجذبها ويكسرها (٦) الغضنفر الاسد ويستبيل يوقفه ليبول اي يخيفه ويفزعه

الاخبار التاريخية

جمعية الكتاب المصرية

تألفت جمعية من أرباب الاقلام المقيمين في مصر سميت « جمعية الكتاب المصرية » الغرض منها ترقية الكتابة والادب ورفعة شأن الكتاب وقد انتخبت في احدى اجتماعاتها لجنة لادارة شؤنها رئيسها العالم الفاضل سليمان افندي البستاني ونائب الرئيس صاحب هذه المجلة (المنار) وكاتب السر اسكندر افندي شلهوب صاحب جريدة الرأي العام الغراء وأمين الصندوق ابراهيم بك رمزي صاحب جريدة التمدن الغراء وباقي أعضاء اللجنة هم محمد افندي مسعود واحمد حافظ افندي عوض من محرري جريدة المؤيد الغراء. وأضيف اليها في اجتماع آخر داود بك عمون المحامي الشهير . ولاشك أن الكتاب أجدر الناس بالاجتماع الذين هم دعاته ومرشدو الناس اليه . وقد اتفق رأي الجمعية في اجتماع [illegible] العلماء وأكتب الكتاب الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رئيس شرف هذه الجمعية وعهدت الى جماعة من الاعضاء بأن يفدوا على الاستاذ ويعرضوا عليه رغبتهم وكذلك كان . فنسأل الله تعالى ان يوفق هذه الجمعية لخدمة الامة والبلاد

(مفتي صيدا) علمنا ان منصب الافتاء في صيدا قد اسند الى صاحب الفضيلة صديقنا الاستاذ الشيخ سعد الدين افندي الصالح الشهير بالاستقامة والدراية فنهنئه بما هو الاجدر به. بل نهنئ البلاد بعلمه واستقامته وأدبه .

(كتاب اميل القرن التاسع عشر) قد علم القراء المعجبون بهذا الكتاب ومباحثه العلمية في فن التربية العملية ان اراسم هو والد « اميل » الذي وضع الكتاب في كيفية تربيته على اصول العلم والحكمة التي انتهت اليها معارف القرن التاسع عشر وانه كان مسجوناً بذنب سياسي وقد رأوا الآن في المكتوبين الاخيرين المنشورين في هذا الجزء انه قد عفي عنه وأطلق من سجنه فبقية مباحث الكتاب في التربية تبرز في الاجزاء الآتية بأسلوب آخر غير اسلوب المكاتبة بين ام « اميل » وأبيه وهي أكثر فائدة مما تقدم لانها في التربية والتعليم في سن التمييز الى سن الرشد . ومنها أيضاً مكاتيب أراسم التي كتبها في السجن ولم يرسلها وفيها ما تلذ قراءته وتعظم فائدته .

﴿ سجل جمعية أم القرى ﴾

كتب في صدر هذا السجل الذي سننشره في المجلد الخامس كما ترى في الخاتمة مانصه أيها الواقف على هذه المذاكرات ٠

اعلم انها سلسلة قياس لا يغني أولها عن آخرها شيئا وأنها حلقات معان مرتبطة مترقية لا يغني تصفحها عن تتبعها ٠ فان كنت من أمة الهداية وفيك لشأة حياة ودين وشمة مروءة فلا تعجل بالنقد حتى تستوفي مطالعتها وتعي الفواتح والخواتم ثم شأنك ورأيك ٠ أما اذا كنت من أمة التقليد وأسراء الاوهام بعيداً عن البصر لاتحب أن تدري من أنت وفي أي طريق تسير ، وما حق دينك وحقك عليك والى ماذا تصير ، فتأثرت من كشف الحقائق ، ودبيب النصائح ، وشمرت بعار الانحطاط وثقل الواجبات ، فلم تطق تتبع المطالعة ، وتحكيم العقل والنقل في المقدمات والنتائج ، فأناشدك الاهمال الذي ألفته ان تطرح هذه المذاكرات [illegible] رأيه فيها (الامضاء)

(اريحية ، ومأثرة علمية) زار الاديب الفاضل جاد بك عبد مدرسة صاحب العزة مصطفى بك [illegible] الأساتذة ، ونجاح التلامذة ، فتبرع بارسال [illegible] في القرآن الى المدرسة لتوزع على التلامذة [illegible] الدينية وعلوم اللغة العربية ، ومن علم انهذا التبرع من نابغي الشبان المسيحيين ، علم اننا في عصر ترجى فيه الاخوة الحقيقية بين جميع الشرقيين ،

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

(الاستهزاء بالعلم والعلماء واهانة القرآن العزيز)

جرأت فوضوية المطبوعات في مصر كثيراً من الجاهلين على مقام الصحافة فأنشأوا الجرائد للخوض في أعراض الناس الا ان يرضخوا لهم بشيء من المال وعهدنا بهم النيل من الاغنياء والامراء الذين يطمعون في أموالهم ثم انتقلوا الى الطعن في العلماء وبمناسبة ذلك انتقل بعض أهل هذه الحرفة الى الكلام في بعض المسائل الدينية عن

جهل ومنهم من زاد على ذلك أيراد بعض آيات القرآن في مقام الهزء والسخرية ومثل هذا يحكم العلماء بكفر مرتكبه وخروجه من الاسلام • وانا نذكر بعض نصوص فقهاء الحنفية في ذلك. جاء في شرح الطريقة المحمدية للعلامة الخادمي (ص ١٧١ ج ٢) ما نصه : « قال في الاشباه الاستهزاء بالعلم والعلماء كفر • وعن منية المفتي تخفيف العلم والعلماء كفر • وعن الخزانة من أذل العلماء ينفى من البلد بعد تجديد الايمان • وعن مجموع النوازل اهانة علماء الدين كفر • وعن المحيط ان شتم عالما فقد كفر فتطلق امرأته وهكذا وهكذا » أي ويأتي في حقه سائر احكام الردة كالقتل اذا لم يتب وكتجديد عقد النكاح اذا تاب الخ وفي مختصر الفقيه يحيى بن ابي بكر الحنفي وهو موجود في دار كتب الازهر الشريف من الفصل الثالث ما نصه : « ومن أنكر آية من القرآن أو استهزأ بها أو قال ذهبت بجلد « قل هو الله أحد » أو قال أخذت بذيل « الم تنزيل » أو قال أنا أقصر من « انا أعطيناك » او قال لن يقرأ عند الميت يس لا تضع في فم الميت يس والقرآن • أو قرأ على ضرب الدف والبربط وغيرها من آلات الملاهي يكفر في جميع ذلك • ولو ملأ القدح فقال « كأسا دهاقا » أو [illegible] فكانت سرابا » أو قال عند الكيل والوزن بطريق الاستهزاء [illegible] • أو قال اجمل البيت مثل « والسماء والطارق » أو قال [illegible] ابنات العلم أو رأى جماعة مجتمعين فقال بطريق الاستهزاء « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » يكفر في ذلك كله » • ثم قال : « ولو تخاصم اثنان فقال احدهما لا حول ولا قوة الا بالله فقال آخر « لا حول » لا ينفع أو قال أيش أعمل بها أو حتى يكفر • ولو قال فشربت بجلد سبحان الله أو سمع الغناء فقال اذكر اسم الله تعالى يكفر • ولو أكل طعاما حراما فقال بسم الله يكفر • ولو قال بعد الفراغ الحمد لله لا يكفر عند بعض المشايخ ولو قال عند شرب الخمر وغيرها من المحرمات بسم الله يكفر بالاتفاق » • ثم قال « أو أذن بطريق الاستهزاء يكفر بالاتفاق »

وقال في الفصل الرابع ما نصه : « ولو قال لو لم يأكل آدم الحنطة ما وقعنا في هذا البلاء يكفر عند بعضهم • ولو قال لعلماء الدين . العلم الذي يتعلمه هؤلاء اساطير وخرافات أو قال كل ما يقولون هباء وكذاب ايش احمل بمجالس العلم لا يرد في القصعة يكفر في ذلك كله » • بل شدد بعض هؤلاء الفقهاء في مسألة اهانة العلم والعلماء حتى قال بعضهم من صغر بابوج العلم يكفر وكل هذا التشديد العظيم لاجل حماية شرف الدين أن تناله ألسنة الجاهلين واذا لم يصح كون مثل هذا التصغير كفرا فلا أقل من أن يكون معصية ولم يسلم من هذه بعض الجرائد الهزلية المعروفة قرآن ولا علم ولا دين • ولا شك

ان كل قارئ لهذه الجرائد وكل مشترك فيها وكل مبتاع لها فهو شريك لصاحبها في الاثم لان الذي يعين على الشيء كفاعله • وان كثيراً من الناس ليفضلون قراءة هذه الجرائد وان ملئت بالكفر وقول الزور وثلب الاعراض واشاعة الفواحش ويحملون مقت الله وغضبه وافساد أخلاق الامة لاجل أن يضحكوا عند قراءتها • ورحم الله الامام الشافعي حيث قال. « نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه ينظر الى أخبث شيء في انائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم » وفي الحديث الشريف « وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا (وفي رواية ليضحك بها الناس) يهوي في جهنم سبعين خريفاً »

(خيانة الخدم)

رب خادم خائن يؤذي مخدومه الايذاء الكبير لينال بعض النفع الحقير واكثر من يبتلى بهؤلاء الخدم أهل الاستقامة والتقوى لانهم لسلامة باطنهم يسلمون لمن يستخدمونه تسليما لا يأتي من سواهم ومن هؤلاء الرجال الوجيه الفاضل أمين بك الشمسي الشهير فقد كان [illegible] ورقة من لسانه اخذ بها خمسمائة جنيه من [illegible] في طنطا قبل أن يتفق جميع المال وحوله [illegible] • وقد جرت عادة أمين بك [illegible] ورقة اذن من مصلحة سكة الحديد بالسفر في قطاراتها مدة سنة وفي ابتداء كل سنة يجدد هذا الاذن ويدفع عن السنة كلها مبلغاً معينا لكثرة سفره • وقد جاء في بعض الجرائد من عهد قريب ان بعض المفتشين رأى ان ورقة الاذن التي في يد سعادة أمين بك مزورة بتغيير التاريخ من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٢ ثم ذكرت الجرائد أن مصلحة السكة الحديدية تبين لها براءة سعادة البك من هذا العمل وظهر انه كان أمر كاتباً عنده بالذهاب الى المصلحة لتجديد ورقة الاذن فذهب وغير التاريخ وأكل الدراهم التي أخذها ليدفعها الى المصلحة ومن البديهي ان مثل هذا الرجل السليم القلب لا يخطر في باله مثل هذه الخيانة ليدقق النظر في التاريخ حتى انه لولم يغرم بالمرة كما فطن له • وقد وجد المبلغ مقيداً في دفاتر البك المنتظمة في وقته وقد أعلمت النيابة بأمر الكاتب ليحاكم ويعاقب على ما فعل

(كتاب اسد الغابة) هو للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير لا للحافظ ابن حجر كما ذكر في الجزء الماضي سهوا

﴿ خاتمة سنة المنار الرابعة ﴾

بهذا الجزء تم المجلد الرابع من المنار وقد صدرت اجزاؤه في سنة وشهرين لان بعضها أخر عن موعده عمداً لتوافق اول سنة المجلة اول السنة الهجرية الشريفة . وقد زاد هذا المجلد عما قبله زهاء مائة صفحة . وقد رأينا أن نجعل حرف المنار بحروف صغيرة في السنة الخامسة وأرينا القراء نموذج ذلك في هذا الجزء وما قبله وهي زيادة في الفائدة وسعة في المادة

أما مباحث المنار ومسائله فهي ما رسمناه وحددناه بالاجمال في فاتحة السنة الأولى وفصلنا القول فيه بالتدريج تفصيلا . فقبلة المنار الاصلاح الديني وامامه القرآن ومذهبه السنة وسيرة السلف الصالحين والائمة المجتهدين وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي الصقت بالدين، والتي [illegible] نفوس جماهير المسلمين . وفي يقينه أن الشرق لا يصلح الا بإصلاح المسلمين وأن المسلمين لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح في دينهم من [illegible] ولا [illegible] مجاراة الامم الحية في دنياهم واخذهم بجميع فنونها وعلومها وصناعتها . فالاصلاح الديني هو الذي ينفخ فيهم روح الاتحاد الاجتماعي بعقائده المرقية للعقول ، وآدابه المزكية للنفوس ، ومجاراة الامم الحية هي التي تعطيهم قوة مادية يحفظون بها وحدتهم ، ويعززون بها ملتهم . ومثل هذا فليعمل العاملون

ونعد القراء الكرام بأننا سننشر في أجزاء السنة الخامسة مباحث كتاب (أم القرى) وهو كتاب لم يكتب مثله في الاصلاح الاسلامي فقد جمعت فيه آراء جميع المصلحين بقلم حكيم من حكمائهم ، وعالم اجتماعي من أفضل علمائهم . يسمى في الكتاب بالسيد الفراتي كاتب سر (جمعية أم القرى) والكتاب سجل مذاكرات الجمعية في ١٢ اجتماعا من اجتماعاتها في مكة المكرمة . وأعضاء الجمعية او (مؤتمر النهضة الاسلامية) الذين يحتوي هذا السجل على مذاكراتهم ٢٢ رجلا كل رجل نائب عن قطر من الاقطار الاسلامية من الشرق والغرب . والاقطاب التي دارت عليها مباحثهم ثلاثة وهي حالة المسلمين الدينية وحالتهم الاجتماعية وحالتهم السياسية وبيان أسباب ضعفهم في هذه الاحوال وما يعالج به هذا الضعف لاعادة القوة ولكن في القسم

السياسي* كلاما لبعض أعضاء الجمعية في الدولة العلية (أيدها الله تعالى) نحذفه عند الوصول اليه لانه لايؤلم أكثر الناس، ولا ينبغي ان يعرفه الا الخواص، ولاجل ذلك اغتالت الكتاب يد مطامع الاغوال، واسدلت عليه أستار الليال. وفي آخر الكتاب (قانون جمعية تعليم الموحدين) التي اقترح المؤتمر انشاءها وهو مؤلف من ٤٨ قضية، وقد وعدنا جامع الكتاب بتنقيح النسخة التي سننشرها في المنار، وباضافة زيادات اليها هدت اليها الحنكة والاختبار،

وانا سننجز في السنة الخامسة ما كنا وعدنا به من اتمام مباحث مدنية العرب ومبحث الكرامات وسنجيب عن جميع الاسئلة المشكلة الدينية التي سيأتونا بها المشتركون الكرام ونوسع دائرة المباحث العلمية العصرية بعبارة سهلة ولا نزيد في قيمة الاشتراك شيئاً فكل من قبل الجزء الاول من السنة الخامسة فانا نعتبره مشتركا الى مدة سنة كاملة بخمسين قرشاً اميريا نتقاضاها منه وان رد الجزء الثاني أو شيئاً مما بعده فمن لم يقبل بهذا الشرط [illegible] فقد لأجزاء السنة كلها كما لايخفى. وهذا الشرط [illegible] ومن كان منهم فقيراً ويود أن نسمح له ببعض القيمة لفقره فعليه أن يطلب ذلك منا مشافهة أو مكاتبة قبل صدور الجزء الاول من السنة الخامسة

هذا وانا بعد الشكر لله على توفيقه وهدايته نشكر لأولئك الفضلاء الذين وازرونا على القيام بفريضة الدعوة الى الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر السعي في نشر المنار وتكثير سواد قرائه فقد تضاعف عدد المشتركين في هذه السنة من غير وكلاء ولا دعاة الا دعاة الخير لانه خير وكثر في هذا الشهر طلب الاشتراك من السنة الخامسة وهذا من المبشرات بنمو الحياة الملية في جسم الامة وتحقيق لرجائنا الذي افصحنا عنه في فاتحة السنة الاولى.

وفي الختام نسأل الله تعالى ان يوفقنا في السنة الآتية لخير ماوفقنا في السنة في السنين الماضية، وان يوفق أمراءنا وحكامنا للعدل في العباد، واصلاح حال البلاد، وعلماءنا للهدي والارشاد، وأغنياءنا للبذل والامداد، وان يوفق الوالدين لتربية الاولاد، وينفخ في الجميع روح الاجتماع والاتحاد، وسلام على المرسلين، ومن تبعهم من الصالحين، والحمد لله رب العالمين.